

.مدخل:

" ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"⁽¹⁾

كلمة قالها العلامة عبد القاهر الجرجاني (471 هـ)، وهي كلمة لا يقولها إلا من فقه اللغة العربية وسبر أغوارها وقاس محيطاتها، فالنحو بمعناه العام يمثل القانون والنهج والرسم الذي يحفظ للعربية صيغها وأدواتها وتركيبها عموماً، وعليه فالإبداع الفني في اللغة هو إبداع في النحو بمعناه الواسع، من خلال دلالة الصيغ صرفاً والوظائف النحوية تركيباً، ويدعم هذا المقصد الدكتور حسن طبل من خلال قوله: " الإبداع الفني هو بالدرجة الأولى إبداع نحوي، فموجب المزية في النظم هو الإحساس بقيمة انتقائه دون نظوم أخرى دالة على أصل معناه"⁽²⁾، بل إن فكرة الانتقاء والعدول لبيان المكنة التعبيرية للغة من خلال نحوها وصرفها من أهم ما أقام الأسلوبيون عليه مقاصد دراساتهم واجتهاداتهم، فقال فيها أحدهم: " اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية بغرض التعبير عن موقف معين، يدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إثارة المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة"⁽³⁾.

وللبرهان عمّا سبق أثرت دراسة نحو (تركيب) الصورة البيانية قصد إثبات مزية الإبداع النحوي إلى جانب الإبداع البياني من الوجهة البلاغية متخذاً القرآن الكريم منهلاً عذباً في إطار التطبيق، وعليه عنونت مداخلي بـ « نحو الصورة البيانية في القرآن الكريم - تكامل جمالي - ».

ونظراً لطبيعة حيز المداخلات المحدود زمنياً في الملتقيات العلمية المختلفة، فإني سأكتفي بالتطبيق على صورتين بيانيتين هما: الاستعارة بالدرجة الأولى لاشتمالها على المجاز اللغوي وصورة المشابهة، والصورة الثانية هي الكناية ولكن بدرجة أقل.

I. الاستعارة صورة نحو وبيان: عُرِّفَت الاستعارة تعاريف عديدة منها تعريف ابن المعتز (399 هـ) بقوله: " هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"⁽⁴⁾، وتعريف عبد القاهر الجرجاني من خلال قوله: " الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"⁽⁵⁾، وتعريف حديث لعلّي الجارم ومصطفى

أمين يقول: "الاستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً" ⁽⁶⁾.

ومجمل القول في تعريف الاستعارة أنها من المجاز اللغوي من خلال وضع اللفظ في غير ما عُهد في وضع تركيبه، وهي عبارة عن جامع مشابهة بين طرفي تشبيه حذف أحدهما (المشبه والمشبّه به).

وقد اختصر العلامة عبد القاهر الجرجاني أغراض توظيف الاستعارة في قوله: "فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية..." ⁽⁷⁾، إضافة إلى أسرار جمالها - في القرآن الكريم خاصة - المتمثلة في: حسن التصوير، والإيضاح، والإيجاز، واختيار الألفاظ، وحسن التركيب ⁽⁸⁾.

والاستعارة بحسب طرفيها (المشبه والمشبّه به) تنقسم إلى استعارة تصريحية واستعارة مكنية.

أ) نحو الاستعارة التصريحية: وهي "ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبّه" ⁽⁹⁾، وسنحاول التطبيق لهذا المفهوم من الوجهتين النحوية والبلاغية، ومثالها:

♦♦ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ ⁽¹⁰⁾.

يقول الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هاتين الآيتين في بعض ما يقول: "الترك: حقيقته مفارقة شيء شيئاً كان بقربه، ويطلق مجازاً على جعل الشيء بحالة مخالفة لحالة سابقة... و(يموج): يضطرب تشبيهاً بموج البحر" ⁽¹¹⁾.

1- من الوجهة البلاغية: في الآية الأولى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ استعارة تصريحية؛ شبه فيها القرآن "الاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة بالموج بجامع ما يشاهد في كلّ من شدة الحركة ثم استعار المشبه به للمشبّه واشتق منه (يموج) بمعنى يضطرب ويختلط" ⁽¹²⁾، على سبيل الاستعارة التصريحية التي اتخذت من الإيضاح وحسن التصوير غرضاً ومقصداً لها.

2- من الوجهة النحوية: نطق التركيب بصورة متحركة متموجة تظهر اختلاطاً واضطراباً في تنوع مكونات التركيب المنبئة بجوهر الصورة البيانية، ويتجلى ذلك في:

. الزمن : يتمشهد الزمن في صورة ديناميكية ذات حركة وتموج؛ فالفعل التحويلي (ترك) في الماضي ومفعوله الثاني في زمن الحال المتمثل في المضارع (يموج) وبينهما الظرف (يومئذ)، فهذا التنوع الزمني ينبئ بصورة هي أبعد ما تكون عن السكون والجمود، وبذلك ترجم الزمن بوضوح وحسن تصوير الاستعارة التصريحية موضح الشاهد.

. مفعولي (تركنا): تتجلى الصورة البيانية في حركتها واضطرابها في هيئة مفعولي (تركنا): فالفعل الأول ورد مفردا (بعضهم) أمّا المفعول الثاني فقد ورد جملة فعلية (يموج...)، وفي هذا التنوع حركة وتجدد، ومما يزيد الصورة النحوية ترجمة للصورة البيانية في بيان الاضطراب والاختلاط الرابط بين المفعولين المتمثل في تكرار لفظة (بعض) فضلا عن الإسناد؛ فتكرار لفظة (بعض) التي تماثل الموج في تشابهه، من حيث الشكل العام لكل طرف على حدة واختلاف نوع المفعولين يماثل حالة الاضطراب والتموج كما أسلفنا الذكر.

. الفعل التحويلي : كان المفعولان في الأصل جملة اسمية مرفوع العمدين فدخل الفعل التحويلي فسبب الاضطراب والحركة في العلامة الإعرابية لفظا ومجلا، وحوّل الجملة الاسمية ذات الدلالة الثابتة إلى جملة فعلية ذات دلالة حركية تجديدية.

. الأداة (في): اختيار الحرف (في) والعدول عن (مع) في الآية موضوع الشاهد للدلالة على الامتزاج والحركة المتداخلة التي تماثل موج البحر وللدلالة على تيه كل فرد في ذلك الموقف العظيم الذي تتداخل فيه الخلائق من فرط الذهول؛ يقول تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (13).

فكل هذه الوقفات النحوية تثبت بما لا يدع للشك مجالا بمدى تكامل الوظائف النحوية بالمنحى البياني للصورة في أداء معاني الحركة والاضطراب في وضوح وحسن تصوير.

♦♦ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ (14)

يقول الإمام الزمخشري في هذه الآية: " ﴿ حَمَلْنَاكُمْ ﴾ حملنا آبائكم (في الجارية) في سفينة؛ لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين، كان حمل آبائهم مئة عليهم، وكانهم هم المحمولون، لأن نجاتهم سبب ولادتهم" (15).

1- من الوجهة البلاغية: تحمل الآية استعارة تصريحية؛ إذ شبهت " كثرة الماء المحسوسة المشاهدة بالطغيان المعنوي المعقول بجامع الخروج عن حد الاعتدال ومجاوزة الحد في كل مبالغة في جعل الطغيان المعقول أصلا في الخروج عن الحد

الاعتدال يقاس عليه المحسوس لتفكير الناس منه ، ثم استعار الطفيان لكثرة الماء (16)

2- من الوجهة النحوية: تصوير المحسوس في هيئة المفعول قصد المبالغة في المفعول بجعله أصلاً يقاس عليه المحسوس جُسدَ فعلاً في المشهد النحوي للتركيب البياني موضوع الشاهد من خلال:

توكيد الوجود: عن طريق تأكيد (إنّ) للتركيب الشرطي المصدر بأداة الشرط (لما) الوجودية، من زاوية أنّ (إنّ) تؤكد وجود (حصول) حمل السلف جسدا والخلف نسلا على سفينة النجاة لوجود (لحصول) طغيان الماء وفضضانه.

- دور التعلّق الشرطي في تصوير المحسوس في هيئة المَقُول: إن علاقة الشرط بجوابه هي علاقة السبب بالمسبب أو النتيجة؛ بمعنى أنّ حصول الجواب مرتبط بسبب من الشرط، وعليه فإنّ حصول النتيجة مرتبط بسبب طغيان الماء وفيضانه، وتوظيف هذا الارتباط الشرطي يهيكل ذهن المتلقي ويعدّه لتلقي عملية التعلّق؛ من حيث إنّ وجود حادثة النتيجة مرتبط رأساً بفيضان الماء، غير أنّ التركيب عوض أن يوظف اللفظ المحسوس (الفيضان) وظف المَقُول (الطغيان) لارتباط وتعلّق شبيه بالشرط، من زاوية أنّ طغيان قوم نوح - عليه السلام - وجودهم كان سبباً في تسليط العقوبة العادلة ألا وهي فيضان الماء التي تعدّ نتيجة لذلك السبب، فكانت لفظة (الطغيان) سبباً لنتيجته فيضان الماء الذي كان سبباً في منّ الله بنعمة النتيجة للسلف جسداً وللخلف نسلًا.

وإنما دلّت الجملة الفعلية (طغى الماء) على طغيان القوم وكفرهم في لفظ (طغى) وعلى فيضان الماء بوصفه عقاباً إلهياً في لفظ (الماء)، أما لفظ (حملناكم) فقد أدى معنى التوجيه، ويمكننا تلخيص هذه المعاني في هذا الشكل

طغيان القوم ... أدّى إلى ... **فيضان الماء... أدّى إلى ...** **< تنجية المؤمنين**



وانطلاقاً من الشرح والشكل نستنتج أنّ الجملة الفعلية موضوع الشاهد أدّت إلى هذا الكم التصويري في أوجز لفظ، بحيث أصبح تصوير طغيان القوم غاية في فضاعة الجرم أصلاً يقاس عليه مدى فيضان الماء وقوته بوصفه عقاباً لإلهيا يليق بقدرة الله وحوله.

ب) نحو الاستعارة المكنية: وهي ما "ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه، المسمى تخييلا باستعارة مكنية"⁽¹⁷⁾، وسنحاول التطبيق لهذا المفهوم من الوجهتين النحوية والبلاغية، ونستلها بصورة استرعت انتباه البلاغيين القدماء:

♦ قال الله تعالى: ﴿وَاشْتَعلَ الرَّأسُ شَيْباً﴾⁽¹⁸⁾.

1- من الوجهة البلاغية: شُبه الشيب في بياضه وانتشاره في الشعر بشواظ النار في شدة توهجه وسرعة انتشاره فيما حوله بجامع السرعة والانتشار الشديد في كل، ثم استعير اسم النار للشيب ثم رمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية.⁽¹⁹⁾

2- من الوجهة النحوية: علّق عبد القاهر الجرجاني على هذه الصورة البيانية بأن موطن الجمال فيها لا يكمن في الاستعارة فقط بل يتعداه إلى التركيب، فيقول إذا ذكر الناس الآية موضع الشاهد: "لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ولم ينسبوا إلا إليها، ولم يروا للمزية موجبا سواها، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم ولا هذه المزية الجليلة ... لمجرد الاستعارة، ولكن لأن يُسلَك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسند إليه ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا أن ذلك الإسناد ... إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا الثاني ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم: طاب زيد نفسا..."⁽²⁰⁾، فالأصل والحقيقة كما يقول السكاكي هي (شاب رأسي) ثم تجوزت إلى ما هو أبلغ: (اشتعل شيب رأسي) ثم تجوزت إلى ما هو أبلغ أيضا: (اشتعل رأسي شيبا)، وكونها أبلغ من جهات: إحداها: إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس، ... وثانيتهما: الإجمال والتفصيل في طريق التمييز (شيبا)، وثالثتها: تنكير شيبا لإفادة المبالغة...⁽²¹⁾.

ومما سبق من تحليل العلمين نجد أنهما يركزان على المزية النحوية من نواحي كثيرة منها:

الحذف والإضافة وتغيير الترتيب في المكونات النحوية للتركيب الأصلي...⁽²²⁾

ونظرا لخوض العديد من البلاغيين والباحثين في تحليل هذه الآية سأكتفي بما تقدم وأنصرف إلى تراكيب أخرى.

♦ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (23).

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "هذا مثل: كأن الغضب كان يغريه على فعل ويقول له: قل لقومك كذا وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء" (24).

1. من الوجهة البلاغية: إسناد السكوت للغضب يعدّ استعارة مكنية؛ ف"السكوت مستعار لذهاب الغضب عنه شبه ثوران الغضب في نفس موسى... بكلام شخص يغريه بذلك، وهذا يستلزم تشبيه الغضب الناطق المغربي على طريقة المكنية" (25)، ويوضح هذا السيد شيخون من خلال قوله: "شبه القرآن الغضب بإنسان بجامع أن كلا منهما يحضر ويدفع على عمل ما واستعار المشبه به للمشبه، ثم حذف بعد إثبات لازمه وهو سكوت للمشبه تخيلاً" (26). والغرض البلاغي من هذه الصورة هو تجسيد المعنوي وإيضاح المعنى مع حسن التصوير.

2. من الوجهة النحوية: تجسدت سطوة الغضب التي وقع موسى - عليه السلام - فريستها في الصورة التركيبية النحوية كما تجسدت في الصورة البيانية، من خلال:

الاختصاص: تقديم الصلة (عن موسى) على الفاعل (الغضب) للدلالة على استقرار الغضب بموسى - عليه السلام - وإفراغ شحنته فيه وحده دون غيره.

الأداة (عن): المؤدية في أصل توظيفها لمعنى المجاوزة، وهذا المعنى يتناسب مع سكوت الغضب عن موسى وتجاوزه له؛ فالسكوت يومئ بتجاوز حالة الكلام والفعل؛ لذلك وظفت (عن) لترجمة هذا المعنى بدقة.

توظيف الفعل (سكت): الفعل (سكت) لا يؤدي معنى الانتهاء بالضرورة؛ بمعنى أن موسى - عليه السلام - مجرد أن سكت عنه الغضب أخذ الألواح التي في نسختها هدى بعد أن ألحها تحت سلطان الغضب المستبد به، فتوظيف (سكت) دقيق للغاية فهي أبغ من أي توظيف آخر كما في توظيف (سكن) أو (انتهى) اللتين تدلان في حال توظيفهما - في غير القرآن - على عدم مجاهدة موسى - عليه السلام - لنفسه قصد الخروج من بوتقة الغضب التي دفعت به إلى فعل لا يرضاه، أمّا توظيف (سكت) فدال على أن موسى - عليه السلام - تحيّن فرصة مجرد سكوت الغضب عنه لأخذ الألواح، وهنا تدخل بلاغة توظيف (لَمَّا) كذلك.

- توظيف الأداة (لَمَّا): توظيف (لَمَّا) الشرطية الوجودية؛ بمعنى وجود الجواب لوجود الشرط؛ أي وُجد أخذ الألواح لوجود سكتة الغضب عن - عليه السلام -، وهذا دال على سيطرة الغضب على موسى - عليه السلام -، حيث كان إلقاء الألواح بسلطان من الغضب، وكان أخذها بمجرد سكوت ذلك السلطان .

وخلاصة ما سبق نلاحظ قدرة التركيب النحوي على أداء الأغراض البلاغية سابقة الذكر (تجسيد المعنوي وإيضاح المعنى مع حسن التصوير).

II - الكناية صورة نحو وبيان: سميت الكناية تسميات مختلفة منها التعريض والتورية وغيرها وعُرِّفت عديد التعاريف أهمها تعريف عبد القاهر الجرجاني: " والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة (كثير رماذ القدر) يعنون كثير القرى" (27)، ويعرفها في العصر الحديث كل من علي الجارم ومصطفى أمين من خلال: " الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى" (28).

ومجمل القول في تعريف الكناية أنها آلية الفن والعلم في حسن توظيف كل من الاختيار والعدول؛ بمعنى حسن اختيار لفظ دون لفظ وحسن العدول عن لفظ دون لفظ لضرورات السياق والجمال والدقة، وللكناية بلاغة وأغراض في توظيفها نذكر منها: الإيجاز اللطيف، والتعبير الجميل، وحسن التصوير وقوة التأثير، والنظم البديع، واللمحة الذكية ... (29).

وتنقسم الكناية بحسب المكنى عنه ثلاثة أقسام: كناية عن موصوف، وكناية عن صفة، وكناية عن نسبة، ولكنني سأكتفي بالتطبيق للكناية عن موصوف والكناية عن صفة.

أ) الكناية عن موصوف: قال تعالى: ﴿ وَحَنُّنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسِّرٍ ﴾ (30)

المقصود بالحمل سيدنا نوح - عليه السلام - ومن تبعه من المؤمنين ، وجاء في الكشف في شأن هذه الآية " أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتتوب منابها وتؤدي مؤداها" (31)

1 - من الوجهة البلاغية: قوله ﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسِّرٍ ﴾ كناية عن موصوف هي سفينة نوح - عليه السلام - .

من الوجهة النحوية: إنّ الكناية تقوم على مبدأ الاختيار والعدول؛ أي اختيار لفظ لا يمثل حقيقة المقصود والعدول عن اللفظ المقصود لفرض بلاغي، وكذلك النحو العربي يشتمل على آلية الاختيار والعدول، من جهة: (المفرد، الجملة) و(الجملة الفعلية، الجملة الاسمية) و(المفرد، المثني، الجمع) من ناحية الصرف... الخ، ففي الآية الشاهد اختار الله لفظ الوصف (ذات ألواح ودرسر) وعدل عن ذكر الموصوف (السفينة) للدلالة على معان كثيرة منها: أنّ لفظ الوصف يشتمل على الإضافة والتبعية، من حيث إنّ لفظ (ألواح) مضاف إليه ولفظ (درسر) تابع له (ألواح)، غير أن لفظ الموصوف (السفينة) لا يشتمل عمّا سبق، وممكن البيان في الإضافة والتبعية في هذه الكناية يتمثل في كون:

الإضافة: دالة على الحاجة والضعف؛ أي حاجة المضاف إلى المضاف إليه (ذات ألواح) لصناعة التعريف، والمضاف (ذات) لا يصنع التعريف والتعيين وحده، لذلك فهو في ضعف دون المضاف إليه، كذلك سفينة نوح - عليه السلام - فهي في حال من الضعف والحاجة لا يمكنها من النجاة والتنجية ما لم تضاف إلى مشيئة الله وقدرته.

التبعية: بالمعطف عندما تكون بين معطوفات مجملها يشكل الأجزاء المكونة للجسم الواحد، كما هو حال الدرسر (المسامير) مع الألواح المكونة للسفينة، كما هي دالة على صور الجزء على تكوين الكل دون بقية الأجزاء، وكذلك السفينة وحدها قاصرة على النجاة والتنجية ما لم تكن تابعة لقدرة الله ومشيئته.

فكلّ من دلالة الإضافة والتبعية أدتا إلى أن المنجي هو الله وليس السفينة بألواحها ودرسرها، لذلك عدل الله عن ذكر لفظ الموصوف واختار لفظ الوصف بدله.

ب) الكناية عن صفة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدْ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (32)

1- من الوجهة البلاغية: في هذه الآية كنايتان عن صفتين ذميتين: الأولى كناية عن صفة البخل في ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، والثانية كناية عن صفة الإسراف في ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

2- من الوجهة النحوية: الكناية الأولى: اختار الله - عز وجل - جملة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وعدل عن جملة (لا تبخل)، وسرّ هذا الاختيار والعدول من الوجهة النحوية يتمثل أهمها في:

- اختيار الفعل المتعدي (لا تجعل) والعدول عن الفعل اللازم (لا تبخل)، واختيار الفعل المتعدي يعني اختيار الفعل المجاوز أو الواقع؛ أي مجاوزة الفاعل إلى المفعول والوقوع على المفعول، والعدول عن الفعل اللازم يعني العدول عن القاصر أو غير الواقع، وتفسير هذا الاختيار والعدول يتجسد في التجاوز والتعدي والوقوع على المفعول الذي يجسد صفة البخل بوصفها تجاوزا وتعديا على الآخر المحتاج الذي جعل الله له حقا معلوما من مال الميسور، وبوصفها - صفة البخل - وقوعا على المحتاج وقوع حرمان وغمط حقوق في الزكاة أو وقوع تقصير وانعدام مسؤولية التكافل الاجتماعي في الصدقة.

- اختيار الفعل المتعدي المؤدي معنى التحويل (تجعل) والعدول عن الفعل اللازم (تبخل)؛ للدلالة على أنّ صفة البخل لم تكن أصيلة في الفطرة السليمة القائمة على الخير، ولما تحولت الفطرة السليمة إلى فطر غير سليمة عامرة إماما بالبخل وإماما بالإسراف وإماما... الخ، إذا وظف الفعل التحويلي للدلالة على التحوّل الحاصل في الفطر التي يجب أن تحول إلى طبيعتها السليمة.

- الكناية الثانية: اختار الله - عز وجل - جملة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وعدل عن جملة (لا تسرف)، وسرّ هذا الاختيار والعدول يتمثل أهمها في:

- اختيار الفعل المتعدي (تبسط) والعدول عن الفعل اللازم (تسرف) للدلالة على تجاوز الحد في الإسراف، من حيث إنّ الفعل المتعدي هو الفعل المجاوز إماما الفعل اللازم فهو غير المجاوز، وعليه فتوظيف الفعل المجاوز أدق تعبيراً عن معنى تجاوز الحد المتمثل في الإسراف المنهي عنه.

- اختيار توظيف المفعول المطلق (كلّ البسط) والعدول عنه في جملة المعنى المقصود (لا تسرف)، للدلالة على النهي عن الإسراف في بسط اليد بسطا مطلقا، بمعنى النهي عن الإفراط في بسط اليد في صورة إطلاقية.

وعليه فإنّ الكنيتين جسدتا صفتين معنويتين (البخل والإسراف) في صورة تركيبية ذات وظائف نحوية مترجمة للفرض البلاغي الذي من أجله استعملت الصورة البيانية.

الخاتمة

مما سبق نستنتج أنّ الوظائف النحوية تشكّل صورة جمالية إذا حصل إدراك لأسرار الاختيار لبعض الوظائف دون بعض، وأسرار العدول عن بعض الوظائف دون بعض، وتتجلى هذه الصورة الجمالية أكثر بهاء وسحرا في الصورة البيانية التي

يُجسد فيها المعنوي، ويُعبر فيها عن المجسد في صورة معنوية، ويحسن فيها التصوير، وتلطف فيها الإشارة، ويحصل فيها الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل ... الخ، وتظهر كلّ هذه الآليات في التركيب النحوي عن طريق حسن التصرف في مباحث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير وتوظيف الأدوات المختلفة والصيغ الصرفية المتنوعة ... الخ، عن طريق سر اختيار مبحث دون آخر والعدول عن مبحث دون مبحث.

الإحالات :

- (1) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلّق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 64.
- (2) المعنى في البلاغة العربية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 159.
- (3) الأسلوب، سعد عبد العزيز مصلوح، دار البحوث العلمية، القاهرة، مصر، 1980، ص 23.
- (4) كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 11.
- (5) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 31.
- (6) البلاغة الواضحة مع دليلها، علي الجارم ومصطفى أمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 77.
- (7) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 40.
- (8) ينظر: الاستعارة - نشأتها وتطورها -، محمود السيد شيخون، دار الهداية، الجزائر، ط2، 1994، ص 83-91.
- (9) علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص 176.
- (10) الكهف: 99، 98.
- (11) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، 1984، 40 / 16.
- (12) الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد شيخون، ص 98.
- (13) عيس: 37.
- (14) الحاقة: 11.
- (15) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه صححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1987، 4 / 600.
- (16) الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد شيخون، ص 86.
- (17) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2003، ص 265.
- (18) مريم: 04.

- (19) ينظر: الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد شيخون، ص 90.
- (20) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 79.
- (21) ينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1348 هـ، ص 124.
- (22) ينظر: المعنى في البلاغة العربية، حسن طيل، ص 162.
- (23) الأعراف: 154.
- (24) الكشف، الزمخشري، 2/ 163.
- (25) تفسير التحرير والتنوير. ابن عاشور، 9/ 122.
- (26) الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد شيخون، ص 89.
- (27) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 52.
- (28) البلاغة الواضحة مع دليلها، علي الجارم ومصطفى أمين، ص 125.
- (29) ينظر: الأسلوب الكنائي، محمود السيد شيخون، دار الهدى، الجزائر، ط 2، 1994، ص 92، 97.
- (30) القمر: 13.
- (31) الكشف، الزمخشري، 4/ 434.
- (32) الإسراء: 29.